

عن كتابة ديالكتيكية تنطلق من الحي الذي هو ذاته وغيره في الوقت ذاته ، هوية ونقيض . عالم في حركة .

الايديولوجيا وعملية الكتابة :

يحاول الياس خوري الوصول الى كتابة جديدة . و « الجبل الصغير » حقل هذه الكتابة . وعلى الرغم من جمالية اللغة واصالة المحاولة فان تجربة الياس طرح بعض الاسئلة .

ينطلق الياس من عفوية الكتابة او استقلال عملية الكتابة وحضور اللغة . تقول اللغة ما تريد ويرسم نسقها اشكاله . يصبح « الكاتب » علاقة . يسير النص محمولا على دفع اللغة وتلقائية الكلمة . للكتابة منطقها . لكننا نعرف ان للكاتب ايديولوجيته وللنص ايديولوجيته ايضا . ان ايديولوجيا الكاتب لا تطابق بالضرورة ايديولوجيا النص ، وان منطق الكاتب لا يساوي دائما منطق عملية الكتابة .

يعمل مؤلف « الجبل الصغير » في اللغة صاحبا ، « يتدخل احيانا » يشذب ما كتب فيقترب من ضفاف كتابة جدلية - مادية . يدخل ضوابطه ووعيه في عملية الكتابة ، يهندس ، فينتج صوتا متوازنا ديمقراطيا (الجبل الصغير - الكنيسة - الدرج) . لكن كاتبنا ينساق احيانا كثيرة وراء لعبة اللغة ، ينحرف في البحث عن الصورة ، يضع في الكلمات ، تصبغ الكلمة مطلقة السراح . اي ينتج النص ايديولوجيا متميزة لا تطابق بالضرورة ايديولوجيا الكاتب . يصل الياس احيانا الى العدمية والضياح . بمعنى اخر : الكلمات مادة خام « محايدة » من حيث هي كلمات ، لكنها عندما تتربط وتتمازج في نسق لغوي تنتج ايديولوجيا معينة

او لغوية او اسلوبية ، « ينحرف في تيار الكتابة » محاولا احتضان الواقع . يحاول الوصول الى كل الزوايسا والمساحات . يبعد « احتيال العقل » و « قيد الايديولوجيا » ويحصل مكانهما « عفوية » الكتابة . ينقل مستوى الواقع الى مستوى اللغة . ولما كان الواقع جملة علاقات متناقضة لاختية فيها فان هذا التناقض لا يلبث ان ينتقل الى النص الادبي الذي يحاول رسم هذا الواقع . تناقض يعيد انتاجه كتناقض اخر . لذلك فاننا نجد في « الجبل الصغير » اكثر من « فكر » واكثر من « ايديولوجيا » . نجد اكثر من اسلوب واكثر من لغة . بمعنى اخر . ان كثافة الواقع وسديم المعاش وضبابية اللحظة التاريخية تعكس نفسها في الشكل الفني الذي يرسمها . لا « معقولة » الحرب تظهر في « لامعقولة » العلاقة الفنية . الشرط تاريخي يحدد الشكل الفني الذي يشير اليه .

ياخذ التناقض هنا شكلين : التناقض في الفكر والتناقض في الشكل الذي يحمله . فعلى مستوى الفكر تتمر امامنا مركبات عدة :

الثورة / الموت . الفرح / السوداوية .
التفاؤل / التشاؤم ، صحوه العقل / تحطم العقل .
النشوة / الانكسار
اما على مستوى الشكل فنرى :
الواقعي / الخيالي . الحقيقي / الوهمي .
اليومي / الرمزي

مركبات الواقع تنتقل الى مركبات النص . نص غني يحاول استنفاد واقع لامتناه في غناه . عقل وسديم يتابعان رحلة التعايش والمجابهة .

ان وجود التناقض في النص يعبر